

أضواء البيان

@ 247 @ فَارْحُونَا فَذَرْنَاهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ { . وقوله في هذه الآية { زُبُرًا } أي قطعاً كزبر الحديد والفضة ، أي قطعها . وقوله { كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرْحُونَا } أي كل فرقة من هؤلاء الفرق الصالين المختلفين المتقطعين دينهم قطعاً فرحون بباطلهم ، مطمئنون إليه ، معتقدون أنه هو الحق . .

وقد بين جل وعلا في غير هذا الموضع : أن ما فرحوا به ، واطمئنوا إليه باطل ، كما قال تعالى في سورة (المؤمن) : { فَلَا مَسَّ لَنَا بِأَعْيُنِنَا رَبُّهُمْ } رُسُلُهُمْ بِاللَّيْلِ نَدَاتُ فَرْحُونًا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ فَلَا مَسَّ لَنَا بَلَاءُ سَنَدَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّثَهُ وَكَفَرُوا نَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ { ، وقال : { إِنَّ السَّادِّينَ فَرَّسُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لِّسِتٍّ مِّنْهُمْ فِي شِدْعٍ إِزْمًا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنذِرُ نَذْرًا لَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { إِنَّ هَآذِهِ } (هَآذِهِ) اسم (إِنَّ) وخبرها { أُمِّتُكُمْ } . وقوله { أُمَّةً وَاحِدَةً } حال هو ظاهر . قوله تعالى : { لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن أهل النار لهم فيها زفير والعياذ بالله تعالى . وأظهر الأقوال في الزفير : أنه كأول صوت الحمار ، وأن الشهيق كآخره وقد بين تعالى أن أهل النار لهم فيها زفير في غير هذا الموضع وزاد على ذلك الشهيق والخلود ، كقوله في (هود) : { فَأَمَّا السَّادِّينَ شَقُّوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا } . قوله تعالى : { وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن أهل النار لا يسمعون فيها . وبين في غير هذا الموضع : أنهم لا يتكلمون ولا يبصرون ، كقوله في (الإسراء) : { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِلًّا وَجُوهَهُمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا } ، وقوله : { وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } ، وقوله : { وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ } مع أنه جلا وعلا ذكر في آيات أخر ما يدل على أنهم يسمعون ويبصرون ويتكلمون ، كقوله تعالى : { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُ تَوَنُّدًا } ، وقوله : { رَبِّهِمْ رَبِّ نَدَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا } ، وقوله : { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ } . وقد بينا أوجه الجمع بين الآيات المذكورة في (طه) فأغنى ذلك عن إعادته هنا .

